



إسرائيل - كورازين، جبل التطويبات،

٢٤ آذار ٢٠٠٠ : العظة

"اعتبروا دعوتكم، أيها الإخوة والأخوات" (١ قورنتوس ١ : ٢٦).

١ كلمات القديس بولس هذه توجه اليوم إلى كل منا، نحن الذين أتينا اليوم إلى جبل التطويبات. تجمعنا وجلسنا على هذه التلة مثل التلاميذ الأولين، لنصغي إلى يسوع، فنسمع في الهدوء صوته اللطيف والمُلحّ، لطيفا مثل جمال هذه الأرض، ومُلحًا إذ يفرض علينا الاختيار بين الموت والحياة.

كم من الأجيال من قبلنا سمعت عظة الجبل وتأثرت بها غاية التأثر. كم من الشباب عبر الأجيال تجمعت حول يسوع، مثل تجمعكم اليوم هنا، لتتعلم منه كلمات الحياة الأبدية. كم من القلوب الشابة انجذبت بقوة شخصيته وبقوة الحقيقة المنبعثة من رسالته. وجودكم اليوم هنا هو أمر جميل ومدهش.

شكرا لك، سيادة المطران بطرس المعلم لكلماتك الترحيبية. وتحياتي وصلاتي لكل كنيسة الروم الكاثوليك التي ترئسها. أحبي جميع المؤمنين في جميع الكنائس، اللاتين والناطقين باللغة العبرية والموارنة والسريان والأرمن والكلدان، وكل إخوتنا وأخواتنا من الكنائس والجماعات المسيحية. وأقدم تحية خاصة لأصدقائنا المسلمين الحاضرين هنا ولليهود والدروز.

هذا التجمع الكبير هو بمثابة مراجعة ليوم الشبيبة العالمي الذي سوف يعقد في شهر آب في روما. إن الشاب الذي تكلم وعد بأنكم ستشاركون في ذلك اللقاء. أيها الشباب من إسرائيل ومن المناطق الفلسطينية ومن

الأردن وقبرص، أيها الشباب من الشرق الأوسط ومن أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا وأوقيانيا، بمحبة ومودة أحيي كل واحد منكم.

٢ الأوائل الذين سمعوا التطويبات من فم يسوع حملوا في قلوبهم ذكرى جبل آخر ، هو جبل سيناء. قبل شهر أنعم الله علي بأن أكون هناك حيث كلم الله موسى وأعطاه الشريعة "مكتوبة بإصبع الله" (خروج ٣١ : ١٨) على لوحى الحجر. هذان الجبلان - سينا والتطويبات - يقدمان لنا خريطة طريق حياتنا المسيحية وملخص مسؤولياتنا تجاه الله والقريب. الشريعة والتطويبات تحددان الطريق لاتباع المسيح، بل هي الطريق الملوكي للنضوج الروحي وللحرية.

قد تبدو الوصايا العشر لأول وهلة جملة ممنوعات: "لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي.. لا تقتل؛ لا تزني؛ لا تسرق؛ لا تشهد بالزور" (خروج ٢٠ : ٣ و ١٣ - ١٦). ولكنها في الواقع في غاية الإيجابية. إذا ما تجاوزنا الشر الذي تذكره، وجدنا أنها تهيئ الطريق لشريعة المحبة التي هي أولى الوصايا وأعظمها: "أحب الرب إلهك بكل قلبك، بكل نفسك وبكل ذهنك وأحب قريبك حبك لنفسك" (متى ٢٢ : ٣٧ و ٣٩). وقد قال يسوع نفسه إنه لم يأت ليبطل الشريعة بل ليكملها (راجع متى ٥ : ١٧). رسالته جديدة، ولكنها لا تقدم ما كان قبلها، بل تكمل ما كان قبلها حتى يبلغ تمامه. يعلمنا يسوع أن طريق المحبة تكمل الشريعة (راجع غلاطية ٥ : ١٥٤)، وقد علم هذه الحقيقة الخطيرة هنا على هذا الجبل في الجليل.

٣ "طوبى لكم أنتم الفقراء بالروح، أنتم الودعاء والرحماء، والناتحين الآن، والباحثين عن العدل، وأنقياء القلوب وصانعي السلام، والمضطهدين من أجل البرّ. طوبى لكم." قد تبدو كلمات يسوع غريبة. نعم، إنه لأمر غريب أن يرفع يسوع من شأن من يعتبرهم العالم صغارا وضعفاء. ومع ذلك فهو يقول لهم: "طوبى لكم أنتم الذين يبدو لكم أنكم الخاسرون، فأنتم الكاسبون الحقيقيون: لأنكم تكسبون ملكوت الله". عندما يقول ذلك يسوع "الوديع والمتواضع القلب" (متى ١١ : ٢٩) تصبح كلماته تحديا يقتضي توبة عميقة ومقيمة في الروح، وارتدادا حاسما في القلب.

أنتم الشباب تفهمون لماذا يجب أن يكون في القلب توبة وارتداد. لأنكم تسمعون في داخلكم وحولكم صوتا آخر، صوتا مناقضا يقول خلاف ذلك. صوتا يقول: "طوبى للمتكبرين والعنيفين، والذين ينجحون بكل وسيلة وثمن، والذين لا ضمير لهم، والذين لا يرحمون ولا يشفقون، والذين يسلكون طرقا معوجة، ويعملون للحرب لا للسلام، والذين يضطهدون كل من يقف في طريقهم". ويبدو أن هذا الصوت يجد قبولا في عالم ينتصر فيه العنيف، وينجح فيه صاحب الطرق المعوجة. "نعم، يقول صوت الشر، هؤلاء هم الذين ينجحون فطوبى لهم".

٤ يسوع يقدم رسالة مختلفة. ليس بعيدا من هذا المكان دعا يسوع تلاميذه، وهو اليوم يدعوكم. ودعوته تفرض دائما أن تختاروا بين أمرين يتصارعان في قلوبكم حتى الآن، هنا، على هذه الهضبة: في قلوبكم صراع وعليكم أن تختاروا بين الخير والشر، بين الحياة والموت. أي صوت سيختار شباب القرن الحادي والعشرين؟ إذا آمنتم بيسوع المسيح هذا يعني أنكم تختارون الإيمان بما يقول، مهما بدا قوله غريبا، ويعني أنكم تختارون رفض صوت الشرير مهما بدا جذابا وواقعيا.

ويسوع لا ينطق فقط بالتطويات. بل هو يعيش التطويات. بل هو مصدرها ومصدر الحياة الطوباوية وهو السعادة كلها. إذا نظرت إليه وتأملت فيه، فهتمم ما معنى أن يكون الإنسان فقيرا بالروح، وديعا ورحيما، راضيا بالحزن هنيهة، وملتزما ما هو مستقيم، ونقي القلب، وصانع السلام وقابلا للاضطهاد من أجل البر. ولهذا يحق ليسوع أن يقول: "تعال اتبعني". لا يقول يسوع فقط: "اعمل ما أقول". بل: "تعال اتبعني".

أنتم تسمعون صوته على هذه الهضبة وتؤمنون بما يقول. ولكن، مثل التلاميذ الأولين على بحيرة طبريا، أنتم أيضا يجب أن تتركوا سفنكم وشباككم: وليس الأمر سهلا، ولا سيما عندما تواجهون مستقبلا غير أكيد، وتراودكم التجربة وتميل بكم إلى فقدان الأمل في تراثكم المسيحي. يجب أن تكونوا مسيحيين حقيقيين أقوياء، وهذا أمر يمكن أن يكون فوق طاقتكم في عالم اليوم. إلا أن يسوع لا يقف جانبا، ولا يترككم وحدكم لمواجهة التحديات. إنه دائما معكم ليبدل ضعفكم إلى قوة. ثقوا به عندما يقول: "تكفيك نعمتي، فإن القدرة تبلغ الكمال في الضعف" (٢ قورنثس ١٢: ٩).

٥ أمضى التلاميذ وقتا مع الرب. جاؤوا ليعرفوه ويحبوه، فأحبوه حبا عميقا، وقد اكتشفوا معنى ما قاله بطرس مرة ليسوع: "يا رب إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك؟" (يوحنا ٦: ٦٨). اكتشفوا أن كلمات الحياة الأبدية هي نفسها كلمات سينا وكلمات التطويات. وهذه هي الرسالة التي نشرها في كل مكان.

عند صعود يسوع إلى السماء عهد إلى رسله برسالة ووعدهم وعدا: "إني أوليت كل سلطان في السماء والأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وهاءنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم" (متى ٢٨: ١٨ - ٢٠). مدة ألفي سنة حمل أتباع يسوع هذه الرسالة. والآن في فجر الألفية الثالثة جاء دوركم لحملها. جاء دوركم لتذهبوا إلى العالم فتكرزوا برسالة الوصايا العشر والتطويات. عندما يتكلم الله، فإنه يكلم كل واحد بأمر خطيرة، ويكلم شعوب القرن الحادي والعشرين بكلام لا يقل خطورة عنه في القرن الأول. الوصايا العشر والتطويات تتكلم على الحقيقة والوداعة، والنعمة والحرية: وكل هذا ضروري لدخول ملكوت المسيح. والآن جاء دوركم لتكونوا أنتم رسل الملكوت الأقوياء.

يا شببية الأرض المقدسة، يا شببية العالم: أجبوا الرب بقلب راض ومنفتح. بقلب راض ومنفتح مثل قلب ابنة الجليل العظيمة، مريم أم يسوع. ماذا كان جوابها لله؟ قالت: "ها أنا أمة الرب فليكن لي بحسب قولك" (لوقا ١ : ٣٨).

أيها الرب يسوع المسيح، في هذا المكان الذي عرفته وأحبته حبا شديدا، أصغ إلى تلك القلوب الفتية والسخية. تابع تعليمك لهذه الشببية. علمها حقيقة الوصايا العشر والتطويات. اجعلهم شهودا فرحين لحقيقتك ورسلا راسخين في الإيمان للكونك. كن معهم دائما ولا سيما عندما يتبعونك، وعندما يصبح الإنجيل لهم ملزما وصعبا. أنت قوتهم وأنت ناصرهم.

أيها الرب يسوع، أنت اخترت هؤلاء الشباب أصدقاء لك. فاحفظهم وأبقهم قريين منك. آمين.